جامعة عدن
كلية التربية ــ عدن
قسم اللغة العربية

مدخل إلى الأدب الإسلامي ونقده

د. عبده يحيى صالح الدباني
أستاذ الأدب العربي القديم المشارك
جامعة عدن

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمدلله وحده خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فمنذ زمن وأنا مهتم بنظرية الأدب الإسلامي وقد كتبت مقالات في ذلك ونشرتها في الصحف اليمنية وأظن أني الأستاذ الوحيد في جامعة عدن الذي اهتم بهذه النظرية وكتب فيها وعرف بها في الإطار المحلي اليمني، ولعل ذلك بحكم قناعتي بصواب هذه النظرية ووجاهتها، وبحكم تخصصي في مجال الأدب العربي لاسيما أدب صدر الإسلام والعصر الأموي وانطلاقاً مما تقدم فقد أنجزت هذا البحث الذي يمثل مدخلاً نظرياً لهذه النظرية الفنية الفتية.

أعرف أن هذه النظرية المباركة قد قطعت شوطاً كبيراً في مجال التنظير والتطبيق معاً، ولكني آثرت في هذا البحث المتواضع الإحاطة النظرية في سبيل تعريف القارئ في اليمن بهذه النظرية الجديدة ومن أجل التراكم النظري الذي يرسخ الفكرة ويؤصلها وينشرها على أن لدى البحث بعض الإضافات في بعض جوانب هذه النظرية.

إن جذور هذه النظرية الأدبية الإسلامية موجودة بشكل جلي في تراثنا الديني والأدبي والنقدي والفكري، فقد ورد ذكر الشعر والشعراء في القرآن الكريم في أكثر من موضع وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة عن الشعر والشعراء فضلاً عن أخباره معهم كما كان للخلفاء الراشدين مواقفهم وأخبارهم مع الشعر والشعراء.(1) في هذه التربة الخصبة الصالحة نبتت شجرة الأدب الإسلامي ونقده وليس الأمر مقتصراً على الجذور النظرية ولكنّ هناك جذوراً أدبية كبرى لهذه النظرية تتمثل في القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته وأدبيته وفي الأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام بما تميزت به من خصائص بلاغية وأسلوبية رصدها الدارسون في القديم والحديث(2) وكذا أدب الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة رضوان الله عليهم من شعر ونثر وكل ما قيل من أدب وكتب في العصر الأموي والعباسي والمملوكي والعثماني في موضوعات شديدة الصلة بالإسلام ديناً ومنهج حياة وصولاً إلى الأدب الإسلامي الحديث والمعاصر وميلاد نظريته النقدية واستوائها. وفي مجال النقد العربي القديم كان هناك حضور مكثف لجذور هذه النظرية في مختلف مراحله حتى صارت قضية الدين والشعر أو الأخلاق والشعر واحدة من أهم قضايا ذلك النقد.(3)

لقد حاولنا في هذا البحث الإحاطة والشمول لنرسم صورة واضحة الأبعاد ومدرسية للنظرية ولم نغرق في التفاصيل تبعاً لخطة البحث وهدفه ومنهجه. فكان تقسيم البحث على النحو الآتي:ـــ توطئة ـــ التعريف ـــ النشأة ـــ العوامل ـــ الخصائص ـــ الشكل الفني ـــ المشكلات ـــ النتائج ـــ الهوامش ـــ ملحق.

أسأل الله أن ينفع بهذا البحث ويجعله في ميزان حسناتي وتكون كلمته تعالى هي العليا في كل ميادين الحياة ومنها الأدب ونقده.

التعريف

لا تخلو كتب النقد الإسلامي من تعريفات موجزة للأدب الإسلامي ونقده فضلا عن المقالات والبحوث والمقابلات التي تنشرها مجلة (الأدب الإسلامي) وفيما يأتي سنحاول الإلمام ببعض هذه التعريفات مراعين إلى حد ما التطور التاريخي للنظرية، ولقد عرف الأستاذ سيد قطب الأدب الإسلامي بأنه " التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية"(4) وهو تعريف أولي كما أنه لم يصف (التعبير) بأنه أدبي أو فني إذ ليس كل تعبير هو بالضرورة تعبير أدبي، فألوان التعبير أو الخطاب كثيرة منها ما لا يدخل في مجال الأدب، ويبدو أن تعريف السيد قطب ينطوي على شرط أدبية التعبير لأنه بصدد تعريف الأدب المتسم بالإسلامية. كما يكشف هذا التعريف الموجز عن أن الأدب الإسلامي لا يكون إلزاما للنفس بفعل عوامل خارجية كما أنه ليس تكلفا ولا تعسفا إنما هو وليد مشاعر إسلامية إيمانية صادقة امتلأت بها النفس.

ومن البديهي أن المشاعر الإسلامية أو غير الإسلامية وحدها مهما فاضت بها النفس لا تصنع أدبا، فالعملية الإبداعية معقدة وذات عناصر متعددة ومركبة من بينها العاطفة والفكر اللذان ينطلقان – وفق هذا التعريف- من التصور الإسلامي وهما ما يميزان الأدب الإسلامي عما سواه من الآداب. أما الأستاذ محمد قطب فيعرف الفن الإسلامي عموما بأنه " التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود"(5) والتعبير عادة ينبع من أعماق النفس وهو ليس استقراء للخارج وهنا يكمن الفرق بين الفقه الإسلامي والأدب الإسلامي فالأول استقراء للنصوص والثاني تعبير عن عواطف وأفكار جاءت من خلال تمثل عميق للإسلام دينا وثقافة وفكرا وتاريخا وحضارة وفنا. ولعل أطول تعريف وأشمله للأدب الإسلامي ونقده هو ما دونه مؤلفا كتاب (دليل الناقد الأدبي) الذي جاء فيه " هو لون من الأدب المنتج في البلاد العربية والإسلامية يتأسس على العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من تصور للوجود ويسعى إلى تمثلها فيما يصدر عنه سواء على مستوى القضايا والاهتمامات أو على مستوى الشكل واللغة والقيم الجمالية عموما وينطلق النقد المصاحب لذلك من الأسس الإسلامية نفسها في الوقت الذي يسعى فيه إلى ترسيخ تلك الأسس وإشادتها ودراسة الأدب المنتج وفق تصوراتها ونقد ما يخالف تلك التصورات"(6)،أي أن هذا الأدب ينبع من الداخل الفكري والعاطفي.

وفي مكان آخر يعود المؤلفان بالأدب الإسلامي إلى ذلك الأدب الذي وقف إلى جانب الإسلام عند فجره وضحاه وما بعد ذلك إذ يقولان" وعلى هذا المستوى التاريخي يمكن العودة بالأدب الإسلامي أيضاً إلى لون من الأدب لم يهدف إلى الدفاع عن الإسلام بقدر ما كان يتمثل العقيدة أو التصور الإسلامي للوجود والعلاقات الإنسانية وما إليها كشعر الزهد وشعر المتصوفة وما كتب من نثر يصدر عن رؤية إيمانية. فإذا أخذنا هذه الألوان بعين الاعتبار اتسعت دائرة الأدب الإسلامي مكاناً وزماناً عما تبدو عليه في بعض الكتابات المعاصرة "(7).

ويرى البحث أنه يمكن العودة بالأدب الإسلامي إلى أبعد مما ذكره الناقدان أي إلى أدب صدر الإسلام الذي تمثل الإسلام ودافع عنه سواءٌ أكان شعراً أم نثراًمثل شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وغيرهم وخطب النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ورسائلهم(8).

وأخيرا فقد أنجزت رابطة الأدب الإسلامي هذا التعريف " الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامي"(9). لقد حرصت هنا على أن يكون التعبير أدبيا فنيا في المقام الأول ومن ثم يكون هادفاً أي ليس مصادفة أو اتفاقا، ويكون هذا الأدب تعبيرا عن الحياة والكون والإنسان أي ليس ضيق الأفق أو مرتبطا بوطن معين فقط أو بقضية محددة فحسب أو بفئة اجتماعية دون أخرى، أو بحقبة تاريخية محددة، و الأهم أنه يأتي وفق التصور الإسلامي الشامل للحياة والكون والإنسان، فكفى بالإسلام فلسفة ينطلق منها الأدب.

النشأة

في النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تتكون معالم نظرية للأدب الإسلامي ونقده على أن الجذور الأدبية والنقدية والفكرية لهذه النظرية موجودة في التراث العربي الإسلامي(10)، ولعل الناقد الأستاذ سيد قطب هو أول من أثار الموضوع في مطلع الخمسينيات من خلال مقالاته الصحفية الأدبية التي دعا من خلالها إلى قيام مذهب أدبي ونقدي ينطلق من التصور الإسلامي للأدب والحياة والكون معا وما لبث أن ألف كتابه (في التاريخ فكرة ومنهاج) في ضوء هذا التصور نفسه. لقد طرح المرحوم – بإذن الله- سيد قطب الفكرة ودعا إلى مناقشتها فانهالت المقالات بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، ويشير البعض إلى أن أول من دعا لقيام مذهب إسلامي في الأدب والنقد هو المرحوم أبو الحسن الندوي.

ولم نكد ندخل في عقد الستينيات حتى نجد العلامة والناقد محمد قطب يؤلف كتابه ذائع الصيت (منهج الفن الإسلامي) يبلور من خلاله تصور الإسلام للفن بوجه عام ومنه الأدب ويستعرض تاريخ الفن الإسلامي وما أن تمر الأيام حتى يؤلف المبدع الناقد الدكتور/نجيب الكيلاني كتابه (الإسلامية والمذاهب الأبدية) في 1963م الذي جمع بين التنظير والتطبيق وبعده بمدة ألف الدكتور/عماد الدين خليل المفكر الإسلامي المعروف كتابه (في النقد الإسلامي المعاصر) وهكذا توالت الكتب والكتابات في هذا الحقل الجديد القديم وامتد الاهتمام إلى كثير من حواضر البلاد الإسلامية حيث تكللت هذه الجهود بانعقاد ندوة عالمية للأدب الإسلامي لأول مرة في الهند في أبريل 1981م بمبادرة الشيخ/ أبي الحسن الندوي – رحمه الله- تمخضت هذه الندوة عن قيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية واستمر بعد ذلك عقد المؤتمرات والمهرجانات والندوات الدورية للأدب الإسلامي في حواضر إسلامية مختلفة وجرى فتح مكاتب للرابطة في كثير من المدن العربية و الإسلامية، مع الإشارة إلى أن الرابطة تصدر مجلة أدبية شهرية منذ تأسيسها اسمها (الأدب الإسلامي) فضلا عن دخول مفردات الأدب الإسلامي ونقده ضمن المقرر الجامعي في عدد من الجامعات في العالم الإسلامي(11).

ومن رواد هذه النظرية الفنية الفتية وأعلامها: سيد قطب، ومحمد قطب، و أبو الحسن الندوي، وعبد الباسط بدر، وعماد الدين خليل، وعبد القدوس أبو صالح، ونجيب الكيلاني(12)

العوامل

لم يكن قيام نظرية الأدب الإسلامي عبثا أو تقليدا أو تزمتا أو ترفاً أدبياًوفكرياًأو دعوة إلى الانعزال والانغلاق ولكنه كان ملحا أمام ضغط عدد من الأسباب التي سنحاول إيجازها على النحو الآتي:

1- شهدت الثقافة العربية الإسلامية تراجعا مخيفا في العصر الحديث حتى باتت هويتها في خطر وذلك من جراء الانبهار بالثقافة الغربية والارتماء في أحضانها، والركون إليها. لقد تدفقت الثقافة الدخيلة على البلاد العربية والإسلامية فمن هذه الثقافات والآداب والتيارات الفكرية والنقدية ما هو منحرف ويشكل خطرا كبيرا على الهوية الثقافية والأدبية للأمة مثل آداب وفلسفات عبثية ووجودية وأخرى صليبية ويهودية صهيونية، فضلا عن فلسفات وآداب مادية و إلحادية صرف و مدارس نقدية شكلانية أفرغت الأدب من روحه ومضامينه وعزلته عن السياقات

التاريخية والاجتماعية والثقافية وصولا إلى النظرية التفكيكية في الفلسفة والنقد التي ترفض أي مضامين يحملها الأدب إذ تعمل على تقويضها وتفكيكها مثلما ترفض أي
ثوابت أو مرجعيات ثقافية أو دينية أو فكرية أو غير ذلك(13)
فكان لا بد أمام تلك التيارات الجارفة العاصفة من قيام نظرية أدبية إسلامية تحمي الأدب من الانحراف والتبعية والعبثية و الشكلانية المطلقة والضياع الديني والثقافي واللغوي والفني ومن الذوبان والتحلل في الآداب والثقافات الأخرى، كل هذا بعيدا عن الانعزالية والتقوقع فهما من المستحيلات في العصر الحديث، وفي الوقت ذاته العودة إلى التراث العربي الإسلامي الذي أهمله الحداثيون العرب وأعلنوا القطيعة معه. وتواجه هذه النظرية فساد هذه التيارات وخطرها على الدين والثقافة والأدب واللغة والذوق وغير ذلك(14).
2ـ حظيت الفلسفات العالمية بنظرياتها النقدية الأدبية المنطلقة من تصوراتها للحياة والكون والإنسان على ما في تلك الفلسفات من شطط وتعصب وأحادية مثل الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والواقعية الاشتراكية و الوجودية والرمزية والسريالية و التفكيكية وغيرها، فمن الأحرى أن يكون للإسلام نظريته في الأدب والنقد بوصفه دينا وفكرا وفلسفة حياة وتصورا شاملا للحياة والكون والإنسان فضلا عن أن جذور هذه النظرية موجودة في التراث العربي الإسلامي الديني والأدبي والنقدي والتاريخي والفكري فالإسلام مؤهل أكثر من أي دين أو فلسفة لأن يتبنى نظرية أدبية نقدية. ذكر أحد النقاد العرب الحديثين متسائلاً لماذا يكون من حق المثقف الغربي الماركسي النزعة مثلا أو الآخر المتبنى لموقف الشك في الثوابت أن يطور مذهبا أو اتجاها نقديا يرتبط بانتمائه الفكري الثقافي من دون أن يتهم بالانعزالية، بل ينبهر بعضنا في العالم العربي بما يقول ويكتب في الوقت الذي يحلو فيه للبعض أن يصادر على الثقافة العربية الإسلامية حقها في تطوير اتجاه يرتبط بانتماءاتها المختلفة ويرفع اتهامات الانعزالية والرجعية والتخلف في وجه كل من ينادون بذلك(15).
3ـ إن هذه الأمة هي أمة رسالة محمدية خالدة فعلى المسلمين في العصر الحديث أن ينهضوا بأعباء تعزيز هذه الرسالة ونشرها في الآفاق كما فعل الأولون كل من موقعه، ولا شك في أن الأدب إحدى الوسائل الناجعة للقيام بهذه المهمة التاريخية المقدسة فللكلمة سحرها وأثرها وسلطانها وقد نجح الإسلام في عصوره الأولى نجاحا باهرا نظرا لعدد من المقومات منها أثر الكلمة نفسها، أي أثر القرآن الكريم في نفوس العرب بما فيه من إعجاز وبيان وبلاغة وجمال(16)، لقد كان الإعجاز القرآني الذي ينطوي على التحدي بيانياً أدبياً وهكذا هو إلى يوم القيامة، فكيف لا تهتم هذه الأمة بهذا الجانب المهم في حياتها ودينها وثقافتها ووجودها ولغتها وتاريخها والذي برعت فيه وعرفت به؟
4ـ إن التنوع في الحفاظ على الدعوة الإسلامية ونشرها وبلورة قيمها مسألة فطرية وتاريخية ملحة ولعل الطرق الأدبية والفنية هي من أنجع الطرق إلى هذه الغايات السامية، فلا ينبغي للأمة ممثلة بأدبائها ومثقفيها ونقادها أن يتركوا هذا المجال للديانات والثقافات والفلسفات الأخرى لا سيما إننا في عصر المواجهة مع ثقافة طاغية عالمية وعولمية مهيمنة متربصة، وإن ثقافتنا هي آخر معقل نتمترس خلفه مدافعين عن وجودنا الحقيقي.
5ـ ولعل من أهم مقومات نظرية الأدب الإسلامي ومسوغاتها هو تعزيز العلاقة الصحيحة الطبيعية بين الأدب والعقيدة الإسلامية وتأكيدها وتوضيحها وإزالة ما يشوبها من لبس وسوء فهم، فالعلاقة قديمة بين الجانبين وهي إيجابية بكل المقاييس ليس مع الأدب فقط، والفن عموما ولكن أيضا مع الشعر خصوصا(17).
إن غياب هذه النظرية قاد إلى فجوة وجفوة بين العقيدة الإسلامية والأدب والنقد عموما فصار كثيرٌ من الأدباء المسلمين لا يفقهون هذه العلاقة الإيجابية التاريخية بل فهموها على أنها علاقة سلبية وأن العقيدة لا تشجع الأدب والفن بل تقف ضدهما وفي الوقت نفسه فإن كثيرا من المسلمين المنشغلين في الدعوة والتوجيه والإرشاد فضلا عن كثير من المثقفين الإسلاميين الاعتياديين يجهلون هذه العلاقة الإيجابية ويظنون في الأدب والأدباء والفن والفنانين الظنون، وكأن العقيدة

الإسلامية من حيث المبدأ تمثل موقفا سلبيا إزاء الأدب والفن، وهذا لم يكن صحيحا البتة. إن إعادة العلاقة إلى سابق عهدها وإيجابياتها بين الأدب والعقيدة الإسلامية هدف أساس من أهداف هذه النظرية الفنية الفتية، حتى لا يسود جو الانفصام بين الأديب المسلم وعقيدته وحتى يتحقق الانسجام الطبيعي المنشود بين الموهبة الأدبية والعقيدة الإيمانية حتى لا يترك الأديب أو الفنان موهبته خوفا على عقيدته أو يجافي عقيدته ويعاديها ويتجه بموهبته اتجاهاً بعيداً عن تصور عقيدته وفلسفتها الواسعة المرنة المعتدلة، وحتى يعي العلماء والدعاة والفقهاء حديثا أهمية الأدب والفن وأثرهما في نشر الدعوة وفي خلق التوازن في النفوس وتشذيبها وتهذيبها وهنا يكمن إنصاف العقيدة في موقفها الإيجابي من الأدب، و ردم الهوة المفتعلة القائمة بين الأدباء والعلماء المسلمين(18)، وامتدادا لهذا كله ستكون نظرية الأدب الإسلامي دواءً ناجعا لحالة الغربة والاغتراب والانفصام التي تسود حياة المجتمع الإسلامي على طريق حياة إسلامية صحيحة في شتى مجالاتها حتى لا نكون إسلاميين في جوانب وغير إسلاميين في جوانب أخرى فهذا هو وضع الانفصام والغربة والاغتراب عينه.

6ـــ وعلى الرغم من أن التوسط والاعتدال خصيصة من خصائص الأدب الإسلامي فإن التوسط والاعتدال في الفكر الإسلامي عموماً يعدان من مسوغات قيام النظرية لأن الفلسفات الأخرى ونظرياتها النقدية افتقرت إلى مثل هذا التوسط والاعتدال وجنح كل منها باتجاه جانب من جوانب العملية الإبداعية على حساب الجوانب الأخرى، فهذه تعصبت للمبدع وتلك تعصبت للقارئ وأخرى تعصبت للنص ورابعة تعصبت للسياق الاجتماعي والتاريخي وهكذا صارت كل نظرية أحادية الرؤية حتى أوصلت تلك النظريات الأدب والنقد إلى أزمة في مواطن نشأتها وازدهارها، وكان لنا في العالم العربي والإسلامي نصيبنا من هذه الأزمة والتوهان(19) نظراً لاعتمادنا على نتاج الثقافة العربية لأننا كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم((لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)).(20)

7ـ ومن المسوغات إجمالا لقيام نظرية الأدب الإسلامي هو العودة بالأدب إلى رسالته الثقافية التنويرية وإخراجه من قمقم الترف الفني والعبث والغموض المطبق والتجريب البائس والتبعية والاستعلاء على القراء والمتلقين عموما، لأن الحداثيين العرب – للأسف- تخلو عن مهمة تنوير الجماهير وتركوها تقع فريسة للثقافة الغربية المهيمنة مع أن التبعية الثقافية للغرب لم تجلب لنا إلا الويلات(21).

الخصائص

1- يعد التوسط والاعتدال خصيصة بارزة من خصائص الأدب الإسلامي ونقده، انطلاقا من كونهما خصيصة من خصائص الفكر الإسلامي بوجه عام، وضرورة من ضرورات الحياة والكون، لقد وجدنا الفلسفات العالمية المختلفة ونظرياتها النقدية تفتقر إلى الوسطية والاعتدال إذ جنح كل منها باتجاه جانب واحد من جوانب العملية الإبداعية على حساب منظومة الجوانب الأخرى، فهذه النظرية مثلا تعصبت للمبدع وتلك تعصبت للنص وأخرى تعصبت للقارئ، وهكذا صارت كل نظرية تقريبا أحادية الرؤية حتى وصلت تلك النظريات بالأدب والنقد إلى أزمة كبرى في مواطن نشأتها وازدهارها(22) وكان لنا في العالم العربي والإسلامي نصيب من هذه الأزمة والتوهان تبعا لاعتمادنا الكبير على نتاج الثقافة الغربية بتياراتها المختلفة كما ذكرنا في المبحث السابق، من هنا أضحى التوسط والاعتدال ضرورة في الأدب والنقد بما يفضيان إليه من توازن، وكانت نظرية الأدب الإسلامي أهلا لتبني هذه الرؤية انطلاقاً من مرجعيتها الفكرية والفلسفية والدينية فيكون التوسط والاعتدال بين الثنائيات الآتية من مثل : الشكل والمضمون، الطبع والصنعة، والخاص والعام، والحرية والالتزام، والوحدة والتنوع، والمتعة والفائدة، والمحافظة والتجريب، والخير والشر في الإنسان، والإيمان والعقل، والظاهر والباطن، والقدر والاختيار، والفردية والجماعية، والثبات والتطور وغير ذلك(23).

2- وكذلك من خصائص الأدب الإسلامي ونقده، الغائية والجدية الهادفة، فالأدب ليس عبثا ولا ترفا فنيا أو عاطفيا أو فكريا ولكنه رسالة هادفة يتضمن الفائدة والمتعة معاً، وهذه الرؤية تخالف المذاهب العبثية كالوجودية ودعاة الفن للفن، كما أن من خصائص الأدب الإسلامي ونقده الشمول والتكامل والكونية على عكس كثير من المذاهب المسجونة في إطار فلسفاتها القاصرة المحدودة(24).

3- من خصائص الأدب الإسلامي توخي روح الإسلام وتصوره في الأدب والنقد بعيدا عن التعسف والحرفية والوعظية والمباشرة والتزمت والدعائية مع ضرورة التمثل الفني العميق الأصيل والتعبير عنه من خلال شكل من أشكال الأدب.(25)

4- تعد الإيجابية واحدة من الخصائص التي يتمتع بها الأدب الإسلامي ونقده، فضلا عما ذكرناه من التزام واعتدال وغيرهما، فهو ليس أدبا حزينا مأزوما محبَطا ومحبِطا كما هو لدى كثير من المذاهب الأدبية العالمية التي أثرت في الحركة الأدبية والنقدية العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة، فالتعامل الإيجابي مع الواقع شرط مهم وسمة بارزة في هذا الأدب، فهو ضد السوداوية والاستهتار والهروب والإباحية، من حيث المبدأ العام، مع أن النقد الإسلامي يتناول هذه الآفات في الآداب الأخرى، ويكشف عن أسبابها ويقترح الحلول لها منطلقا من الفكر الإسلامي(26).

5- تعد الواقعية من خصائص الأدب الإسلامي ونقده، ولكن ليس الواقعية بمعناها الغربي الفلسفي المذهبي ولكن بمعناها اللغوي، فالواقعية في الغرب مذهب أدبي وجد صداه في الأدب العربي الحديث(27) وكذا الواقعية الاشتراكية(28)، لكنّ هاتين الواقعيتين حصرت الإنسان في مساحة محددة ضيقة وأهملت الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها بما فيها من عمق واتساع إذ حصرت الوقع الإنساني في الجانب المادي الحيواني، وأهملت الجانب الروحي والمعنوي الذي هو أساس الحياة الإنسانية بعد نفخة الروح كما أهملت النص الأدبي نفسه(29)، أما الواقعية في نظر الإسلام والأدب والنقد المنطلقين منه، فهي عامة وشاملة إذ هي كل ما يحدث في حياة بني الإنسان من تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية وروحية وتصوير هذا الواقع يراعي مكانة الفرد في حياة البشرية ولا يهمل واقع الجماعة كما يراعي جوانب القوة والضعف معا في حياة الإنسان فلا يهمل هذه على حساب تلك(30) والأدب الإسلامي في واقعيته يرسم ما في الفرد من نقائص وعيوب وضعف وخسة وهبوط ولكن على أساس أنها شر وعلى أنها نقص لا على أساس أنها واقع وضربة لازب لا محيد عنها ولا أمل في الفكاك منها أو الارتفاع عليها(31) فالله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان ضعيفا وخطّاء ولكن قد

زوده بما يتجاوز كل ذلك ويكفره، قال تعالى:{ ونفسٍ وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دسّاها}(32)

6- حتى يصير الأدب إسلاميا فليس بالضرورة أن يكون تسبيحا وتهليلا واستغفارا وابتهالا أو وعظا مباشرا أو موشحات دينية، فجانب العبادات هو جانب واحد من جوانب الإسلام الكثيرة والأدب الإسلامي ليس فقها ولكنه قد يتمثل الفقه أو روحه تمثلا فنيا بحيث يفيد الأديب من الفقيه ويفيد الفقيه من الأديب وكذا فإن النقد الأدبي الإسلامي ليس فقها وما ينبغي له أن يكون كذلك(33)، إن مجال الأدب الإسلامي واسع وعميق سعة الإسلام وعمقه.

7- يعد الانفتاح من الخصائص التي يتمتع بها الأدب الإسلامي ونقده على مختلف النظريات الفلسفية والأدبية العالمية والأخذ منها ما يناسب هويته ومبادئه وما يخدم تطوره لا سيما في جوانب الأشكال الفنية(34) انطلاقا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها"(35)، فلسان حال النظرية يقول: لا انكفاء ولا ارتماء.

8- لعل الاهتمام باللغة العربية الفصحى في كل من الشعوب العربية والإسلامية يدخل في صميم مهام نظرية الأدب الإسلامي لأن الفكر الإسلامي الأصيل تأسس على هذه اللغة الخالدة ولا وجود له خارجها بشكله الصافي على اعتبار أن اللغة فكر وآداب وأخلاق وهوية وليست مجرد ألفاظ كما لا وجود لهذه الأمور خارج اللغة، ولعل الاغتراب الكبير الراهن عن الإسلام هو اغتراب لغوي في المقام الأول.

9- ويرى البحث إن على النقد الإسلامي المعاصر أن يتناول القرآن الكريم والحديث النبوي بالدرس الأدبي ويبحث في مسألة كيف كان القرآن الكريم ذا تأثير عظيم في الأجيال الأولى من الإسلام وكيف صار مع مرور الزمن ذا تأثير أقل على كثرة توافره وكثرة الدراسات التي تناولته.

الشكل الفني

ينبغي الإشارة أولا إلى أن الإسلام بقرآنه وسائر مصادره وتشريعاته لم يحدد للأدب أشكالا فنية معينة يجب التمسك بها وعدم الخروج عنها وما ينبغي له أن يفعل ذلك لأن قضية الأشكال الفنية تخضع لطبيعة العصر والذوق السائد والموروث الفني ومستوى الحركة النقدية المعاصرة وغير ذلك، ولأن الأشكال الفنية عموما هي وسائل وليست غايات ولأنها محايدة ومستقلة إلى حد بعيد، ومن هنا فإن نظرية الأدب الإسلامي لا تعد الأشكال الفنية مقدسة أو ثابتة أو ذات بعد أيديولوجي ولكنها تنظر إليها على أنها محايدة ومتغيرة ومتطورة(36)، والشاهد أن الشعراء في ظل الإسلام ظلوا ينسجون أشعارهم في إطار القصيدة الجاهلية العمودية، ووفق خصائصها الفنية الشكلية إلى حد بعيد، ولم يأت التجديد في الأشكال الفنية فيما بعد فرضا إسلامياً ولكنه جاء وفق ناموسه وقوانينه الخاصة التي أومأنا إليها قبل قليل. وإذا كان هناك من يتحفظ في النقد الإسلامي في موقفه من الرموز الفنية ذات الأصول النصرانية أو اليهودية فإن الاتجاه العام هو مشروعية هذا الأمر إذا لم يتجاوز حدود الحاجة الفنية، فقد يكون الرمز الفني نصرانيا في الأصل بيد أن الفكرة المتوخاة هي إسلامية أو محايدة عامة مباحة, وإلا لما قص علينا القرآن الكريم قصص الأمم والديانات السابقة على ما فيها من خير وشر لأن القصد هو العظة والعبرة والتثبيت من خلال ضرب الأمثلة التاريخية الحية المجسدة للأفكار، فناقل الكفر ليس بكافر كما قيل(37).

ومن هنا فإن موقف نظرية الأدب الإسلامي إيجابي تجاه الأشكال الأدبية المختلفة – على كثرتها – وتجاه التجريب الفني الأصيل وقد تجلى ذلك من خلال النتاج الأدبي نفسه الذي ينطلق من التصور الإسلامي فقد وجدنا الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والقصيدة العمودية والجديدة والمقالة وأدب الرحلات وغير ذلك(38)، ومع ما سبق ذكره فإن لنظرية الأدب الإسلامي بعض الضرورات الشكلية ذات العلاقة الوطيدة بالمضامين أو بالإسلام وبلغة قرآنه الخالدة مثل: ضرورة استعمال اللغة العربية الفصحى في الأدب الذي يكتب بالعربية، وعدم اللجوء إلى

اللهجات العامية العربية المختلفة، وكذا عدم الابتذال والضعف والركاكة في إطار اللغة العربية الفصحى نفسها بل احترام قواعدها نحوا وصرفا وبلاغة وكتابة ومعجما ولا بأس في التجديد الرصين الأصيل، وكذا إيثار الوضوح وعدم اللجوء إلى الغموض المعتم، وكذا توخي الإمتاع والفائدة معا(39). كما أن النقد الإسلامي ضد التجديد الذي ينفي القديم ويعاديه ويسخر منه ويجعل هدمه هدفا له، وضد النوايا السيئة المشبوهة التي تتعلل بالتجديد من أجل النيل من التراث واللغة وصولا إلى الإسلام نفسه، فكما يرى نجيب الكيلاني: إن كان ثمة رفض لبعض الأشكال الفنية فيجب ان يكون رفضا مسببا وليس مسبقا(40)

المشكلات

على الرغم مما أوضحناه في الصفحات السابقة من مقومات ومسوغات لقيام نظرية الأدب الإسلامي وما تتمتع به من خصائص والإشارة إلى جذورها في التراث الأدبي والنقدي عند العرب، فضلا عن وجود الأدب الأخلاقي ونقده عند الكثير من الأمم والثقافات(41) بدءا بأفلاطون وجمهوريته الفاضلة ودور الأدب في بنائها(42)، رغم ذلك كله، فإن هناك مشكلات تعترض طريق النظرية، سنحاول إجمالها في السطور الآتية:

يشكل مصطلح (الأدب الإسلامي) واحدة من المشكلات في هذا السبيل، فالبعض يرى أن الأدب الإسلامي هو أدب الشعوب الإسلامية قاطبة بصرف النظر عن مضامينه حتى ما خالف منها مبادئ الإسلام وقيمه(43)، مع أن المقصود بالأدب الإسلامي كما عرفناه مرارا أنه "التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامي"(44)، أي أنه ليس كل ما أنتجه المسلمون من أدب يعد إسلاميا، فالمعول عليه هو الأدب نفسه لا الذين أنتجوه فقط، ومن هنا فإن أدب الشعوب الإسلامية لا يدخل كله ضمن هذا المفهوم وفق رؤية هذه النظرية لأن بعضه أو أكثره سلك دروبا أخرى لا علاقة لها بالإسلام، دينا وفكرا وثقافة وفلسفة حياة، ونظرا لهذه الملابسات يرى البعض إن في هذا التحديد لمفهوم الأدب الإسلامي تمزيقا لأدب الشعوب الإسلامية، بحيث يغدو بعضه إسلاميا والبعض الآخر ليس بإسلامي(45).

وتتضح المشكلة أكثر في علاقة الأدب الإسلامي ـــــ وفقاً لهذا المفهوم ـــــ بالأدب العربي من خلال أن البعض يرى أن الأدب العربي في مجمله أدبٌ إسلامي تبعاً لإسلامية الشعوب العربية بيد أن هذا الفهم لا ينسجم مع مفهوم النظرية للأدب الإسلامي إذ إنها تركز على مضامين الأدب لا على قائليه كما بينا، كما ترى النظرية أن الأدب العربي كله عبر العصور المختلفة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول منه يصب في بوتقة النظرية ويعد من متنها وتراثها لأنه جاء وفق مبادئها وخصائصها مثل معظم أدب صدر الإسلام شعراً وخطباً ورسائل ووصايا وحكماً كشعر حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما وشعر الفتوح الإسلامية وغيره وكذا أدب الزهد والوعظ في العصر الأموي وأدب التصوف في العصر العباسي ومابعده وأدب الحروب الصليبية وغير ذلك من الأدب المنطلق من الفكر الإسلامي والعاطفة الإسلامية حتى العصر الحديث، أما القسم الثاني من الأدب العربي في منظور نظرية الأدب الإسلامي فهو ذلك الأدب المحايد الذي لا هو بالملتزم ولا هو بالمعادي مثل أدب وصف الطبيعة والغزل البريء وغيره من الأدب الذي يهدف إلى إمتاع المتلقي وإسعاده وتهذيب مشاعره وتقوية همته وتجديد نشاطه وقد أدى هذا النوع من الأدب وظيفة البوح والتعبير عما في نفوس أصحابه. أما القسم الثالث فهو ذلك الأدب الذي يتناقض مع الأدب الإسلامي بالمعنى الأخلاقي للكلمة أي ذلك الذي يتضمن معاني هدامة للقيم الإسلامية وسخرية منها ويغري بالفواحش ويميت القلوب ويشكل خطراً على الإسلام وفكره وثقافته وأخلاقه وروحه النابضة المتجددة لأن هذا الأدب يتبنى فلسفات أخرى دخيلة ومعادية للإسلام ويعمل على إشاعتها والترويج لها في المجتمعات الإسلامية وهذا النوع من الأدب هو الذي يخالفه الأدب الإسلامي ويواجهه ويقف له بالمرصاد من أجل الحد من أثره وخطره، ومن

أمثلة هذا الأدب الهدام بعض نصوص الحداثة المنطلقة من فلسفات عقيمة معادية للإسلام والإنسانية بشكل عام.
إن هذا التقسيم للأدب العربي جعل البعض يبدي خوفه على الأدب العربي الواحد الموحد من حيث الهوية واللغة بصرف النظر عن اتجاهاته المتعددة فكرياً وفنياً ولاشك إن في هذه الأمر إشكالية بيد أن نقاد الأدب الإسلامي على اعترافهم بها لا يعدونها معضلة تحول دون قيام النظرية وتطورها لاسيما إن الأدب الإسلامي لايكتب أو يقال باللغة العربية فحسب إذ إن هناك أدباً إسلامياً قيل وكتب بلغات أخر كالفارسية والتركية والهندية وغيرها.(46)
ولعل من المشكلات التي تعترض طريق النظرية الوضع الذي يعيشه الإسلام والمسلمون اليوم بما يهيمن عليه من تحديات وتربص الأعداء، وتفوقهم المادي والثقافي والإعلامي وضعف الوازع الديني بوجه عام لدى المسلمين وغياب وحدتهم السياسية وغروب شمس خلافتهم كل هذا جعل التفاعل مع هذه النظرية يبدو ضعيفا وبطيئا وسلبيا في ظل طغيان تيارات الحداثة ذات النشأة الغربية في العالم العربي والإسلامي.
ومن المشكلات أيضاً ما يعترض طريق النظرية من إرباك وتشكيك واتهامات بالرجعية والانعزالية والتشدد ومن تعنتات و طروحات نقدية تحرم الالتزام أو أي ربط للدين بالفن ويقولون لا ينبغي أن يكون هناك أدب إسلامي، ولا يمكن للديانات أن تفرز آداباً أو أن تصنف الآداب وفقاً للديانات(47)، كما يذهب المشككون في هذه النظرية إلى أن أدبها أدب نظري لا غير فليس هناك نصوص كثيرة تدعم هذا التنظير وتنطلق منه أو تتوافق معه بيد أن مثل هذه المزاعم والإرجافات مردودٌ عليها لأن التراث الأدبي الذي ينسجم مع التصور الإسلامي قديماً وحديثاً كثيرٌ جداً ولكنّ هؤلاء لم يلتفتوا إليه.
ولعل من الصعوبات التي تعترض مسيرة الأدب الإسلامي هي أن الأدب بشكل عام سواء أكان مرآة عاكسة للحياة الإنسانية أو تماثلاً وتوازياً معها أم تعبيراً عن النفس البشرية فإنه على كل هذه الحالات ليس بعيداً عن واقع الحياة الاجتماعية، والمتأمل اليوم في الواقع الاجتماعي في الأقطار العربية والإسلامية سيجد أن هذا الواقع ليس إسلامياً قويماً مستقيماً على مختلف صعده كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والثقافة وغيرها، وليس الأدب إلا واحداً من هذه الصعد، فهل ننتظر أدباً إسلامياً سائداً في ظل واقع غير إسلامي؟ وقد قال الله تعالى{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}(48)، وهل نحن بصدد انجاز أدب إسلامي حقيقي أم علينا أن ننجز أولاً أديباً إسلامياً لاسيما أن الأدب ينطلق من العواطف والمشاعر أكثر من أن ينطلق من العقل والفكر فهل نؤسلم المعاني والعقول قبل أن نؤسلم القلوب و العواطف والانفعالات؟ لأن الأدب الإسلامي الصرف بحاجة إلى قلوب مبدعة مؤمنة يتفجر من خلالها ونحن نعلم ضعف الإيمان بشكل عام في الوسط الثقافي العربي والإسلامي المعاصر.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:((لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))(49) فكثيراً ما ينبع الأدب من الهوى و الطبع إذ ليس العقل المحض هو الذي يتحكم به واتباع الهوى مرفوض في الإسلام إلا أن يكون تبعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم على أن اكتمال الإيمان ليس بالأمر السهل عند المسلمين، فهناك إسلام وهناك إيمان وهناك إحسان. فإذا كان الأدب غالباً والشعر منه خاصة هو ابن القلوب فإعداد القلوب المؤمنة وفق الحديث النبوي السابق يضمن للأمة أدباً إسلامياً راقياً على مختلف مستوياته وعناصره المركبة العاطفية و المضمونية والفنية.
ومهما يكن الأمر فإن المشكلات التي تعترض سبيل النظرية الأدبية الإسلامية لا ترقى إلى أن تكون معضلات تعرقل مسيرتها ولكنّها مشكلات يمكن تفنيدها وتجاوزها بما يعزز قيام النظرية وتطورها ولعل بعض المشكلات هي جزء من العوامل والمسوغات التي دفعت إلى قيام هذه النظرية فالصعوبات مسألة واردة، فإذا كان للإسلام الحنيف أعداؤه وخصومه عبر التاريخ فمن الطبيعي أن يكون لنظريته الأدبية خصومها و أعداؤها.

النتائج

لقد بدأ البحث بتعريف النظرية الأدبية الإسلامية حيث أورد عدداً من التعريفات لكل من سيد قطب، ومحمد قطب، ونجيب الكيلاني وغيرهم ، كما أثبتنا تعريف رابطة الأدب الإسلامي لهذه النظرية، وقد حلل البحث هذه التعاريف التي يكمل بعضها بعضاً، وفي المطلب الثاني تناول البحث عملية نشأة النظرية مشيراً إلى مقالات سيد قطب رحمه الله التي دعت إلى قيام هذه النظرية في مطلع الخمسينيات ، ثم صدور كتابه (في التاريخ فكرة ومنهاج)، ومقالات أبي الحسن الندوي الرائدة وغير ذلك من تفاصيل النشأة.

وفي المطلب الثالث تناول البحث عوامل قيام هذه النظرية من مثل:

1- المحافظة على الهوية الثقافية الإسلامية في ظل طغيان الثقافة الغربية، بما تتضمنه من مذاهب منحرفة ومعادية.

2- جدارة الإسلام في أن تنبثق منه نظرية أدبية مستقلة بوصفه ديناً وفلسفة حياة بكل ميادينها الحسية والمعنوية، وغير ذلك من العوامل الوجيهة.

وفي المطلب الرابع تناول البحث خصائص النظرية عرضاً وتحليلاً ، فمن هذه الخصائص: التوسط والاعتدال، والغائية والجدية الهادفة، وتوخي روح الإسلام وتصوره في الأدب والنقد وكذا الإيجابية والواقعية الإسلامية والانفتاح والشمول والتوازن وسعة الأفق ولا نهائية الموضوعات وغير ذلك من الخصائص التي كان بعضها من ابتكار البحث.

وفي المطلب الخامس: تطرق البحث إلى موقف نظرية الأدب الإسلامي من الأشكال الفنية مشيراً إلى أن الإسلام لم يحدد أشكالاً فنية معينة للأدب ولم يحرم ما كان سائداً من أشكال أدبية.

وفي المطلب السادس

ناقش البحث المشكلات التي تعترض مسيرة النظرية مثل: الإشكال في المصطلح، وعلاقة الأدب العربي بالأدب الإسلامي، ومشكلة هذا التقسيم وغيرها. وقد ذيل البحث بخاتمة موجزة وبالهوامش.

وهناك ملحق للبحث تناول قصيدة للشاعر اليمني الكبير عبد الله البردوني بالنقد والتحليل عنوانها (فجر النبوة) تقع ضمن إطار الشعر الإسلامي الحديث في اليمن.

الهوامش

(1) ينظر: الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د. نايف معروف، دار النفائس، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، 1990م ، ص 123 وما بعدها.

(2) ينظر مثلاً: تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ، 1994م، 279/2 ومابعدها.

(3) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الشروق، عمان الأردن، ص 50، 151، 283، 317 وغيرها(انظر الفهرس).

(4) في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، الدار السعودية بجدة، ص 28.

(5) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة،1987م، ص 126.

(6) دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، و :د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2005م، الدار البيضاء، المغرب، ص25.

(7) المرجع نفسه، ص 25، 26.

(8) ينظر: الأدب الإسلامي، ص 31 ومابعدها، و199 ومابعدها. وراجع : شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، تحقيق عبد الله بن حامد الحامد، الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، الرياض السعودية، 1971م، والشعر اليمني السياسي في الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، عبده يحيى صالح الدباني، دار الثقافة العربية، الشارقة ـ الإمارات، الطبعة الأولى، 2002م، ص40 ومابعدها.

(9) حوار مع رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي، د. عبد القدوس أبو صالح، المجلة نفسها، العدد 22، ص 26.

(10) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 151، 198، 283، 387، 487، 503.

(11) ينظر: من قضايا الأدب الإسلامي، د. صالح آدم بيلو،دارالمنارة،جدة، السعودية، الطبعة الأولى، 1985م، ص 7 ومابعدها.

(12) ينظر: دليل الناقد الأدبي، ص 26.

(13) ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، نيسان 1998م، ص 291 ومابعدها.

(14) ينظر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، د. عبد الباسط بدر، دار المنارة،جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1985م، ص43 ومابعدها.

(15) ينظر: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 272، أغسطس 2001م، ص 305 ومابعدها.

(16) ينظر: تاريخ آداب العرب، 139/2 ومابعدها، و البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان ـ الأردن، الطبعة الرابعة 1996م، ص 135 ومابعدها.

(17) ينظر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ص44 ومابعدها، ونظرية الأدب في ضوء الإسلام، القسم الثالث، الأدب والمذاهب الأدبية، د. عبد الحميد بوزوينة، دار البشير، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى، 1990م، ص 228 ومابعدها.

(18) ينظر: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ص 228 ومابعدها.

(19) ينظر: الخروج من التيه، د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد298، نوفمبر2003م، ص 349.

(20) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة، رقم الحديث 3222 ، ص1030.

(21) ينظر: الخروج من التيه، ص 271 ومابعدها.

(22) ينظر: المرايا المحدبة ، ص 13 ومابعدها.

(23) ينظر: هل للإسلامية مذهبها المتميز ومنهجها الخاص في الدراسة الأدبية، د. عماد الدين خليل، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 22، ص 38.

(24) ينظر: الأدب الإسلامي بين العام والخاص، د. وليد القصاب، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 46، 2005م، ص 4.
(25) ينظر: من قضايا الأدب الإسلامي، ص 65 ومابعدها.
(26) ينظر: نحو تفسير إسلامي للأدب دراسات نقدية في الأدب الإنساني عربياً وعالمياً، د. محمد أبوبكر حميد، دار طويق، الرياض ــ السعودية، الطبعة الأولى 2006م، ص 13، 14.
(27) ينظر: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ص10 ومابعدها.
(28) ينظر: المرجع السابق، ص 254.
(29) ينظر: الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث، دراسة في نقد النقد، محمد بلوحي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ــ سوريا، 2000م، ص 123، 124.
(30) منهج الفن الإسلامي، ص 92.
(31) من قضايا الأدب الإسلامي، ص 76.
(32) الشمس الآيات من 7 إلى 10.
(33) ينظر: من قضايا الأدب الإسلامي، ص 120، 121.
(34) ينظر: في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل،مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1984م، ص 39.
(35) جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـــ لبنان، رقم الحديث 2630، ص 997.
(36) ينظر: الأدب الإسلامي بين العام والخاص، د. وليد القصاب، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 46، ص 7 ومابعدها.
(37) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، 1992م، ص 14 ومابعدها.
(38) ينظر: في النقد الإسلامي المعاصر، ص 105.
(39) ينظر: الأدب الإسلامي بين العام والخاص، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 46، ص 8.
(40) ينظر:رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان الطبعة الأولى، 1985م، ص 61.
(41) ينظر: النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته، نجوى صابر، دار العلوم العربية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، 1990م ، ص 11، 44، 45، 46، 49، 50 وغيرها.
(42) ينظر: النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت ـــ لبنان،1987م، ص 29 ومابعدها.
(43) ينظر: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، د. الطاهر أحمد مكي، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ـــ مصر، الطبعة الأولى، 1994م ، ص 3.
(44) حوار مع رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي، د. عبد القدوس أبو صالح، المجلة نفسها، العدد 22، ص 26.
(45) ينظر: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ص3.
(46) ينظر: المرجع السابق، راجع فهرس الموضوعات.
(47) ينظر: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ص95
(48) الرعد من آية 11.
(49) معجم السفر للسلفي، أبو طاهر السلفي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت ـــ لبنان، 1993م، رقم الحديث 202، ص 143.

(ملحق)
(فجر النبوة) وانفجار الشعر

في ديوان عبد الله البردوني الأول (**من أرض بلقيس**) نلتقي بقصيدة جليلة جلالة مناسبتها وموضوعها بعنوان (فجر النبوة) وفضلاً عن جلالة الموضوع والمناسبة فإن البردوني طار بالقصيدة إلى عالم الجمال الشعري الأصيل الذي لا يتكأ أو يتكل على جلال الموضوع أو المناسبة أو الأفكار المجردة، مع أن الجمع بين جلال الموضوع وجمال الشعر يخفق فيه الكثيرون من الشعراء لاسيما عندما يكون الموضوع متعلقاً بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وإنساناً ورجلاً تاريخياً عظيماً، لأن عظمة الموضوع تشكل تحدياً أمام الشاعر في أن يترجمها شعراً يرتقي إلى مستوى هذه العظمة بحيث يستمد جماله من ذاته لا من الموضوع وقديماً قال الأصمعي (الشعر نكد باب الشر فإذا أدخلته في الخير لان هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما دخل في الإسلام ضعف شعره)، وليست المسألة مرتبطة بالخير والشر كما أشار الأصمعي ولكنها تكمن في قوة الموهبة وعبقرية الشعر وتمثل الشاعر للغة وللموروث الأدبي تمثلاً عميقاً وفي خصوبة التجربة الشعرية وغير ذلك ، أما البردوني هنا فقد أنشأ قصيدة في المولد النبوي الشريف فاقت في جمالها وشعريتها ما قاله شعراء الدعوة الإسلامية في عهدها الأول من شعر في مدح الرسول والثناء عليه والإشادة به، ولعل تفوق البردوني يعود إلى قوة عبقريته الشعرية وإلى تمثله للتراث الثري في هذا الموضوع، أما شعراء العهد الأول فقد كان موضوع النبوة جديداً في شعرهم وكانوا يسيرون في طريق ليست معبدة فيما يخص هذا الموضوع البكر على عكس البردوني الذي عاش في العصر الحديث. يقول الشاعر في مطلع قصيدته:

صور الجلال وزهوة الأمجاد سكبت نمير الوحي في إنشادي
صور من الأمس البعيد حوافل بالذكريات روائح وغوادي
فطرت تعيد مشاهد الماضي إل الـ يوم الجديد إلى الغد المتهادي
حملت من الميلاد أروع آية غمرت متاه الكون بالإرشاد
زمر من الذكرى تروح وتغتدي وتشق أبعاداً إلى أبعاد
وتزف وحي المولد الزاهي كما زف النسيم شذا الربيع الشادي

فانظر إلى جلال الألفاظ والتراكيب وإلى امتداد الإيقاع وانسيابه في انسجام بديع مع الموضوع والمضامين، فالشاعر في هذا المقطع المطلع يصور ما دفعه إلى عالم هذا الموضوع المعجزة، وهو دافع شعري واضح فليس في الأمر إلزام أو تكلف أو إسقاط واجب ف (صور الجلال) و(زهوة الأمجاد) هي التي أوحت إلى الشاعر أن يقول ما قال فهي التي (سكبت نمير الشعر في إنشادي) وغير ذلك صور من الماضي ومشاهد وذكريات انبعثت انبعاثاً شعرياً في روح الشاعر لأنها ظلت حية متألقة ممتدة عبر الأجيال والآجال، ولا أرى أقدر من الشعراء على تجديدها روحياً بحيث تكون غضة وطرية وخالية من شوائب الأزمنة والأمكنة، لقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، مر بجماعة من أهل اليمن كانوا يستمعون إلى القرآن فيبكون ، فقال:(كنا هكذا في أول الأمر حتى قست القلوب)، فالتجديد الروحي إذن مسألة مهمة والشعر أهل لذلك.
ومن ثم ينتقل الشاعر إلى المقطع الثاني من قصيدته مخاطباً (الميلاد النبوي) في ذكراه العطرة ثم يسترسل في سرد صور من السيرة النبوية سرداً شعرياً لا تاريخياً، إذ نسج من التاريخ والدين والنبوة كائناً شعرياً مستقلاً جميلاً، يقول في مطلع هذا المقطع:

يا فجر ميلاد النبوة هذه ذكراك فجر دائم الميلاد

فانظر في هذا البيت البديع في وصفه لذكرى المولد النبوي وصفاً جديداً طريفاً موحياً، لقد اقترن الفجر بالميلاد، والميلاد بالنبوة ثم إن ذكرى هذا الفجر إنما هي فجر ولكنه دائم الميلاد، لقد تركت لفظة (دائم) في المعنى الشعري أثراً عميقاً ، فقد أعطت صفة الديمومة المتحركة الخالدة للميلاد النبوي فهو ليس مجرد مناسبة عابرة كسائر المناسبات، إنها فجر يولد فيولد إلى آخر الدهر.
ثم يواصل الشاعر في هذه القصيدة وصفه الشعري لما تلا النبوة من أحداث وردود أفعال تاريخية مختلفة قائلاً:

وتهلل الكون البهيج كأنه حفل من الأعراس والأعياد
وأفاقت الوثنية الحيرى على فجر الهدى وعلى الرسول الهادي
فمواكب البشرى هناك وهاهنا تبني الوجود بأكرم الأولاد
والمجد ينتظر الوليد كأنه والمجد والعليا على ميعاد
وترعرع الطفل الرسول فهب في دنيا الفساد يبيد كل فساد
وسرى كما تسري الكواكب ساخراً بالشوك بالعقبات والأنجاد
بالغدر يسعى خلفه وأمامه بالهول بالإبراق بالإرعاد
لا لم يزل يمشي إلى غاياته وطريقه لهب من الأحقاد

هكذا مضى الشاعر يسترسل في سرده الشعري المجسد للمضامين كأنما عصر التاريخ في كأس من الشعر فقدمها لنا:

فدعا قريشاً للهدى وسيوفها تهفو إلى دمه من الأغماد
فمضى يشق طريقه ويطير في أفق العلا والموت بالمرصاد
ويدوس أخطار العداوة ماضياً في السير لا واهٍ ولا متمادي
لا يركب الأخطار إلا مثلها خطر يعادى في العلا ويعادي
وتصاممت فئة الضلالة واعتدت فأتى إليها كالأتي العادي
واهتاجت الهيجا فأصبحت العدا خبراً من الماضي وطيف رقاد
لا تسكت الأوغاد إلا وثبة نارية غضبى على الأوغاد
ومن القتال دناءة وحشية حمقى ومنه عقيدة ومبادي

لا أريد أن أسترسل في تفسير الأبيات ، فإيرادها كاملة يغني عن شرحها ولكن أكتفي بالتعليق عليها فهذا المقطع الذي مضى يجسد رحلة النبي صلى الله عليه وسلم الشاقة من مهده إلى لحده، فهكذا توالت الأفعال في الأبيات لتصور تلك الملحمة الخالدة، بيد أن الشاعر كان يعمد إلى كسر حدة السرد من خلال لجوئه إلى الجمل الاسمية معلقاً على ما يجري ومفلسفاً له في بعض الأبيات التي مثلت دافعاً لاستئناف السرد وسيرورته.
أما المقطع الثالث فقد خلص الشاعر إلى وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلال صور شعرية مجسدة لعظمة أولئك الرجال، لقد وصفهم الشعراء في صدر الإسلام وصفاً لا يخلو من الملامح الجاهلية كقول الشاعر كعب بن زهير رضي الله عنه يصف المهاجرين:

شم العرانين أبطال لبوسهمُ من نسج داؤود في الهيجا سرابيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

فهذا الوصف – على قوته- نابع من الثقافة الجاهلية القبلية، أما البردوني فقد تمثل الثقافة الإسلامية في وصفه لهذه الثلة المثالية المباركة قائلاً:

خاض الرسول إلى العلا هول الدجى ولظى الهجير اللافح الوقاد
واقتاد قافلة الفتوح إلى الفدا والمكرمات دليلها والحادي
وهفا إلى شرف الجهاد وحوله قوم تفور صبابة استشهاد
قوم إذا صرخ العراك توثبوا نحو الوغى في أهبة استعداد
وتماسكوا جنباً لجنب وارتموا كالموج في الإرغاء والإزباد

إلى أن يقوم فيهم:

هم في السلام ملائك ولدى الوغى جن تطير على ظهور جياد
وهم الألى الشم الذين تفتحت لجيوشهم أبواب كل بلاد
الناشرون النور والتوحيد في دينا الضلال وعالم الإلحاد
الطائرون على السيوف إلى العدا والهابطون على القنا المياد

ليست هذه القصيدة الوحيدة التي أنشأها البردوني في المولد النبوي فثمة عدد من القصائد تضمنتها دواوينه الأولى أنشأها في الموضوع نفسه لاسيما عندما كان مدرساً معيداً في مدرسة دار العلوم بصنعاء، وكانت الدار تحتفي كل عام بهذه المناسبة التاريخية الدينية العظيمة، ولعل الشاعر في تلك القصائد كان يضخ المضامين الحقيقية للإسلام لما في ذلك من تنوير وتثوير في ظل نظام إمامي يتمترس وراء الدين وهو بعيد عن روحه التاريخية المتجددة وعن فكره الإنساني المعتدل وحثه على التقدم والنماء وإعمار الأرض، ولكنه تمسك بقشوره وتعسف في تأويله وسخره للسياسة، وخدر به الشعب، وقمع طلائعه وثوراته كما يفعل المستبدون في كل زمان ومكان في علاقتهم بالدين، فمن هنا لم تخرج قصائد البردوني هذه عن رسالة تنوير الشعب وتثويره في سبيل تحرره وانعتاقه وانفتاحه وتقدمه الاجتماعي.

وإذا كان البردوني قد تناول في المقطعين السابقين من القصيدة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة أصحابه بطريقته الشعرية الفريدة الآسرة، فإنه في هذه الجولة الثالثة منها يصف أصداء الدعوة الإسلامية في شعاب التاريخ الإنساني، , وكيف كان الإسلام ثورة شاملة عميقة ممتدة عبر الزمان والمكان إذ يقول:

بعث الرسول من التفرق وحدة ومن العدا القاسي أرق وداد
فتعاقدت قوم الحروب على الصفا وتوحدت في غاية ومراد
وتحركت فيها الأخوة مثلما تتحرك الأرواح في الأجساد
ومحا ختام المرسلين عن الورى صلف الطغاة وشرعة الأنكاد
فهناك تيجان تخر وهاهنا بين السكون مصارع استبداد
وهناك آلهة تئن وتنطوي في خزيها وتلوذ بالعباد
والمرسل الأسمى يوزع جهده في الحق بين هداية وجهاد
حتى بنى للحق أرفع ملة ترعى حقوق الجمع والأفراد
وشريعة يمضي بها جيل إلى جيل وآزال إلى آماد

من هذه المفارقات نسج الشاعر أبياته، ولكنها مفارقات واقعية وتاريخية لقد صار التفرق الذي ساد قبل الإسلام وحدة قوية بعد الإسلام وتحولت العداوة إلى محبة، وكان بذلك بشهادة القرآن

الكريم في آيات متفرقة ، وما أجل وأجمل أن تتحرك الأخوة في نفوس القوم كما تتحرك الأرواح في الأجساد باعثة فيها الحياة الحقيقية الفطرية ، فالمحبة جديرة بخلق الوحدة ، أما الأنانية والهيمنة فلا يصنعان إلا التفرقة، وانظر إلى هذا البيت الذي يصور مصير الآلهة الجاهلية الوثنية:

وهناك آلهة تئن وتنطوي في خزيها وتلوذ بالعباد

لقد أضحت آلهة القوم تلوذ بهم بعد أن كانوا يلوذون بها جهلاً وضلالاً، والأصنام في الواقع لا تلوذ بأحد ولا ينبغي أن يلوذ بها أحد ولكن هذا هو منطق الشعر في تصوير الأشياء والحقائق، وما ألطف إشارة الشاعر واصفاً السياسة الإسلامية حين قال:

حتى بنى للحق أرفع ملة ترعى حقوق الجمع والأفراد

فالإسلام بحق قد حفظ حقوق الجماعة أو الشعب أو الأمة، كما حفظ حقوق الأفراد من غير ضرر ولا ضرار، فما أكثر الأنظمة المختلفة التي صادرت حقوق الأفراد في سبيل الجماعة أو الشعب أو صادرت حقوق الشعوب والجماعات لمصلحة الأفراد فيحدث بذلك الإخلال بالتوازن الفطري الطبيعي. ويطوي الشاعر قصيدته بتحية مزجاة إلى صاحب الذكرى العطرة صلى الله عليه وسلم، ولكنها تحية شعرية لا اعتيادية ، كما لم نجدها صلاة عليه كما يفعل كثير من الشعراء في ختام قصائدهم يقول:

يا خير من شرع الحقوق وخير من آوى اليتيم بأشفق الإسعاد
يا من أتى بالسلم والحسنى ومن حقن الدما في العالم الجلاد
أهدي إليك ومنك فكرة شاعر درس الرجال فهام بالأمجاد

هذه هي صلاة الشعر والشاعر في محراب النبوة، إذ بعثها صافية من ينبوعها التاريخي وزج بها في ميدان الحاضر حيث ينبغي أن تكون وحيث يخدم الماضي الحاضر وليس العكس من غير تعسف أو تقليد أعمى.

وقد تجلت في آخر شطر طبيعة البردوني العبقرية في توقه المبكر العميق إلى المجد وقد كان له ما أراد إذ دخل التاريخ من أجمل أبوابه.